



كلمة الأب هادي محفوظ، رئيس جامعة الروح القدس – الكسليك

الدكتوراه الفخرية لرئيس مجلس ادارة بنك بيروت

سليم صفيير

١٤ نيسان ٢٠١٤

القلب ودكتوراه إدارة الأعمال والعلوم التجارية. قد يبدو عطف هذين المعطيين تناقضياً للوهلة الأولى. يتبادر حالاً إلى الذهن سؤال: كيف بذلك القلب الذي نتغنى به عاطفةً وحباً وحنيناً وبذل ذاتٍ للآخر أو عنه، أن يتلاقى وعالم إدارة الأعمال والعلوم التجارية حيث قساوة حساب العقل وإعلاء معادلة الربح والخسارة والتخطيط والتفوق على الآخر؟ فتزاد، من جهة، على هذا العطف، الجامعة مانحة اللقب، جامعة الروح القدس الكسليك، ابنة الرهبانية اللبنانية المارونية، ويطل، من جهة أخرى، اسم مستحق اللقب، الدكتور الجديد، الأستاذ سليم صفيير، رئيس مجلس إدارة بنك بيروت. وينتج من كل ذلك، تصويب تفكير في علاقة القلب والأعمال والعلوم التجارية.

فالقلب لا يُفقه فقط بكونه مركز المشاعر العاطفية، بل إنه أيضاً مركز الإيمان (مز ٥٣ : ٢ ؛ ٧٨ : ١٨ . ٣٧ ؛ ٨٦ : ١١)، وهو مركز الفهم (أمثال ٢ : ٢). فهو مركز كل ما لا يخضع للمحسوس وللمنطق الحسابي الذي ينبري أحياناً على أنه الوحيد الصالح. فهو، أي القلب، مركز المبادئ والمثاليات. وللقلب أسرارته التي تزيد رونقاً وجاذبية. فهو يعلم مفهومنا العادي للأمر، ونحن عاجزون عن فهمه بكتيبته. وهو يجعلنا ندرك أنّ هناك أعلى من المحسوس. ولكنته، في تكوينه هذا بالذات، لا يبقى بعيداً عن واقعنا، بل هو مركز غير المحسوس الذي له التأثير المباشر على المحسوس، لا بل هو محرّك كل محسوس.

والأعمال وإدارتها هي المحسوسيات في يوميات الإنسان. لكلّ منّا أعماله، صغيرةً كانت أم كبيرةً، والتي يُراد لها حُسْنُ الإدارة والنجاح. فيعملُ كلُّ منّا المنطق ليصل إلى النتيجة الفضلى. وتبدأ قواعد إدارة الأعمال وفق العلوم المتبعة، وتوضع حسابات الربح والخسارة ويبرز كلّ ذكاءه وحسن تديره، ليظهر لذاته وللآخرين قديرًا، سيّدًا على الأعمال وريًا من أربابها. ولكنّ العلوم الإداريّة راحت تتيقّن أكثر فأكثر، أنّ القرارات الإداريّة الكبيرة يجب أن تتعدّى تحليل الأرقام والمعطيات العمليّة، كما بيّنتها عدّة دراسات أوردتها، مؤخرًا، مجلّة Harvard Business Review المتخصصة. فبيان من ذلك، بشكل مطّرد وبشكل أوسع، أنّ عامل اللامحسوس، أو الإيمان، أو الحدس، أو المبدأ، أو النظرة، أو الثقة، أو ما يُلخّص بمكونات القلب، له التأثير المباشر على نجاح إدارة الأعمال. فلا يكفي الحساب، بل جهوزيّة الذهن ضروريّة وفق مبدأ حياتيّ يسير عليه الإنسان، ووفق حدس ووفق قوّة قرار، ووفق حالة يعي فيها الإنسان أنّ ذكاءه وحدسه وشخصيّته إنّما هي لمعة من خلق كبير وضعه الله فيه. وهي الحالة التي يعي الإنسان من خلالها أنّ الخالق أب للجميع، فالجميع إخوة، وأنّ كلّ عمل هو ناجح إذا ما ساهم في إنماء الأنا والنحن في آن معًا، أي الفرد والعائلة البشريّة سويًا. ليس هناك عمل ناجح إلّا إذا ساهم هذا العمل في نموّ الإنسان، كلّ إنسان بدون أي تمييز، وكلّ الإنسان، في كلّ أبعاده، كما يحلو للكنيسة الكاثوليكيّة أن تعلّمنا. يدير الإنسان المحسوس، عالمًا أنّ اللامحسوس وراءه، في الزمن وفي الأبعاد، فيركن إلى اللامحسوس أيضًا، وينجح.

هو، إذًا، انصهار القلب وإدارة الأعمال، الذي يزيّن كليهما، ويعطي لكلّ منهما ملء معناه. فلا يعود طلاق أو تناقض بينهما، بل تكامل ضروريّ في إعطاء المعنى للوجود. هو المعنى الإيجابيّ للأعمال والذي من خلاله يفرح كلّ إداريّ جيّد بأنّه يركن إلى قلبه في ادارته، ويفرح كلّ ذي قلب أنّه يعكس فرح قلبه على إدارته. هي قصّة الوزنات تنجلي في يوميات كلّ منّا. هو شعور يحزّر الإنسان من البعاد الذي يفرضه الكثيرون الكثيرون على القلب والإيمان من جهة وعلى الأعمال من جهة أخرى. هو القلب يلون الأعمال وهي الأعمال تسمح للقلب بأن يكون محسوسًا.

نفهم جيّدًا هذه الحقيقة حين نلاقي الاستاذ سليم صفيير. فهو إداريّ ناجح بامتياز، وهو ذو قلب يرشح ابتسامته على الحيّ، فتلمع في البال، حين نلاقيه، كلمة يشوع بن سيراخ، في العهد القديم، حين يقول: "قلب الإنسان يعطي ملامح الوجه، إمّا فرحًا وإمّا حزناً" (يشوع بن سيراخ ١٣ : ٢٥).

وملامح وجهه، تؤيّدتها ملامح أقواله وملامح أعماله. اليكم كلام القلب، كلام المبدأ الذي باح به مجلّة Banker Middle East، منذ أربعة أشهر، في كانون الأوّل ٢٠١٣: "أنظر، على الدوام، إلى ما يعلو الرشاقة والتأقلم وضرورة فهم الأمور في إطارها الزمنيّ. أنا في القلب رجل مصريّ تقليديّ وأؤمن بالقيم المصرفيّة التقليديّة. القيمة

المخوريّة التي تحتلّ المركز الأوّل هي الثقة. الثقة هي في المقام الأوّل عندي. التكنولوجيات تتغيّر. الاقتصاد يتغيّر. أمّا الثقة فيجب أن تكون ثابتة". هو مبدأ، هي الثقة، وهو الإيمان. كذلك، كلامه منذ ما يقارب السنتين، حين تفضّل وقبل دعوتنا لكي يكون المتكلّم الرئيسيّ في حفل التخرّج في تموز ٢٠١٢، حين نصّب الإيجابيّة سبيلًا إلى الثبات في الوطن ودلّ الطلاب والخرّيجين عليها، طالبًا منهم ألاّ يجعلوا من الهجرة هدفًا لهم في الحياة. كذلك، أحاديثه في اللقاءات الشخصيّة تنمّ عن قلب متمتّع بإيمان وثقة وصلابة.

وملامح أعماله، هي هي، ملامح فرح الاتجار بالوزنات واعلاؤها شأنًا. فهو بنى علمًا مصرفيًا يفاخر هو به، ويفاخر به كلّ ناظر بصفاء إلى عمل هذا الإنسان الجريء والمغامر، صاحب القلب القويّ والطيب. تخطّت حدود مصرفه لبنان لتصل إلى بلدان عديدة ومنها استراليا. فهو بنى الأعمال وأعلاها، وانتبه إلى الإنسان، خاصّة شركائه وموظّقيه في البنك. فكان من اللافت أنّه انهى حديثه في لقاءه مع المجلّة المذكورة أعلاه، عنهم بالذات، مشيدًا بطاقتهم التي تدفع الأمور إلى الأمام في المصرف. وهو انتبه إلى الإنسان، من خلال التفاعل مع مجتمعه، مع الطلاب والمتفوقين، ومع الجامعات. فهو لا ينزوي في عالم أعماله، بل يسأل يد قلبه أن تشرّع أبواب أعماله إلى الإنسان، كلّ إنسان. فكان أن ساعد أيضًا كاريتاس لبنان في عدّة مشاريع، فمدّ يده إلى جرحى الحياة وإلى مهمّشي الوجود. فهو، بكلّ ذلك، مشبع من إيمانه، صاحب قلب، متشرب من تعليم الكنيسة الاجتماعي، الذي يظهر جليًا في الإرشاد الرسوليّ الأخير لقداسة البابا فرنسيس "فرح الإنجيل"، الذي يدعونا فيه إلى الذهاب إلى ضواحي الحياة، مفتّشين عن كلّ محتاج إلى فرح الإنجيل. في هذا الإرشاد الرسولي، يقول قداسته: "الأعمال هي دعوة، وهي دعوة نبيلة، إذا ما شعر المنضوون إلى عالمها أنّهم مأخوذون بمعنى أسمى للحياة" (عدد ٢٠٣).

فأعمال الاستاذ سليم صفيّر، مثل كلامه ومثله وجهه، تدلّ على قلبه.

وإنّ في اسم البنك الذي يرأسه، قلب، إذ إنّ بيروت عاصمة لبنان، قلبه هي. وهو، أي الأستاذ سليم صفيّر، في قلب المجتمع اللبنانيّ عامل وحاضر، في وجه لبنان المتعدّد. لذا، نرى هذه الوجوه الكريمة حاضرة بيننا، في يوم تكريمه في جامعتنا، فلعلّ منكم مشاعر الشكران على حضوركم بيننا. وأخصّ من الحضور قرينة السيد سليم صفيّر، السيّدة العزيزة ماري كلود عسيلي صفيّر، معربًا لها عن تهانيّ بنجاح آخر تزدان به عائلتهما. وإنّني أعود إلى مفهوم القلب، إذ أفكر باسم عائلتكم، حضرة الاستاذ سليم، فإنّ عائلتكم هي في قلب لبنان وفي ضميره، إذ منها خرج بطريك الكنيسة المارونيّة على مدة خمس وعشرين سنة، صاحب الغبطة والنيافة البطريرك الكاردينال مار نصر الله بطرس صفيّر الكلّي الطوبى، الذي أتوجه إليه باسمي عواطف البنوة والشكران على حضوره بيننا اليوم. وبين القلب والرأس حكاية سير الإنسان إلى الأمام في الوجود، فإنّني أتوجه إلى رأسنا وراعينا وأيينا صاحب الغبطة والنيافة البطريرك الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي الكلّي الطوبى، بمشاعر البنوة والاحترام، فقد تكرم بأن

يكون حاضرًا بيننا بشخص سيادة المطران بولس الصيَّاح النائب البطريركي العام السامي الاحترام، الذي تلا علينا شهادة غبطته عن الدكتور الجديد.

حضرة الاستاذ سليم صفيير، يتكلّم اليونانيّون، في حضارتهم العريقة والقديمة، عن الصداقة بالقول إنّ للأصدقاء قلبًا واحدًا، مشيرين بذلك إلى أنّ الأصدقاء يتلاقون على القيم والمبادئ والمثاليّات. هو منطلق القلب يجمعكم بالرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة عمومًا، وبجامعة الروح القدس - الكسليك، خصوصًا. أسوق اليكم تحيّات قدس أبينا العام الاباتي طنوس نعمه السامي الاحترام وتقديره، هو الذي أشكره أيضًا على حضوره بيننا وعلى قلبه الذي يغمر به الرهبانيّة. فأنتم حاملون الكثير من القيم التي تحملها هذه الرهبانيّة. إنني لا أملّ من القول إنّ لبنان هو في قلب اسمها: الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، وإنّ قلبها معه وعليه، على الدوام، وهي في خدمة كلّ انسان وكلّ الانسان، في اوجه عديدة، ومنها التعليم العالي. وهي تقوم في خدمتها، وفق رغبة قلب الكنيسة وحبّها للبشر.

فانتم ترون، يا أستاذ سليم صفيير، أنّكم مزنّون بمفهوم القلب، في خضمّ النجاح الكبير في عالم الأعمال. لذا يفهم جليًّا مبدأ التلاقي بين القلب ودكتوراه الأعمال والعلوم التجاريّة. ولذا يطيب لي، باسم مجلس جامعة الروح القدس - الكسليك، الذي أشكره على قراره وعلى حضوره اليوم معنا، أن ألقى على كتفيكم عباءة القلب والأعمال، عباءة الدكتوراه في ادارة الاعمال والعلوم التجاريّة، علامة التفوّق الذي تميّزتم به في الإدارة. إنّها دكتوراه من القلب، وفي القلب والى القلب.